أنوار الأنبياء

تأمُّلاتٌ في المنهاج الإصلاحيّ للأنبياء إبراهيم وموسى عليهما السلام

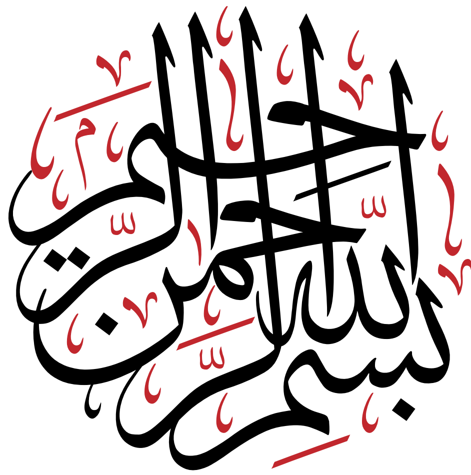
أحمد بن يوسف السيّد

منار الفكر

أنوار الأنبياء

تأملات في المنهاج الإصلاحي للأنبياء

إبراهيم وموسى عليهما السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

جدول المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

تَوطِئةٌ

الحمد لله الذي أكرم عباده بإنزال الوحي على من اختارهم من أنبيائه فهداهم بذلك وأنار لهم الطريق، ونسأله أن يصلي ويسلم على خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ، وأن يرزقنا الاهتداء بهديه وهدي الأنبياء من قبله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] وأن يجمعنا بهم في جنته.

أما بعد، فهذا كتاب سميته بـ (أنوار الأنبياء) جمعت فيه تأملات وفوائد من الآيات التي ذُكر فيها الأنبياء الكرام عليهم من الله الصلاة والسلام، واعتنيتُ فيها بالمنهج الإصلاحي للأنبياء، وبيان السنن الإلهية المتعلقة بنصر دينه وأوليائه والتمكين لهم، وإهلاك أعدائه وقطع دابرهم بعد الإمهال لهم، بالإضافة إلى بيان شيء من المنهج التعبدي والتزكوي للأنبياء.

وبعد أن سِرتُ في هذه الرحلة التدبرية لآيات الأنبياء وما يتعلق بمنهجهم الإصلاحي؛ علمتُ –على وجه التفصيل– أن هذا الباب عظيم النفع، وأن حاجة المصلحين وعامة المؤمنين إليه كبيرة، وأن هذا الموضوع مركزي في كتاب الله تعالى، حري بالاهتمام والتأمل

والتدبر ثم الاقتداء والاهتداء ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

ويُعدّ هذا الكتاب الجزءَ الأول من سلسلة أنوار الأنبياء المطبوعة، وهو متعلق باثنين من الأنبياء، وهما: (إبراهيم وموسى) عليهما صلوات الله وسلامه، وسيكون متبوعاً بأجزاء أخرى بإذن الله تعالى متعلقة ببقية الأنبياء بعون الله وتوفيقه، ونسأله التيسير، والعون والبركة والقبول.

وهذا الكتاب يأتي ضمن منظومة من الكتب والمواد المرئية التي قدمتها في مجال التأصيل الإصلاحي، وهي:

١- التزكية للمصلحين.

٢- معالجة القرآن لنفوس المصلحين.

٣- السيرة النبوية للمصلحين.

٤- بوصلة المصلح.

٥- مركزيات الإصلاح.

والمنهج المتبع في هذا الكتاب هو عرض مقاطع الآيات القرآنية ثم التعليق عليها بالفوائد على شكل نقاط متتابعة، وأما المنهج الاستنباطي فقد ابتعدت فيه عن التكلف في الاستنباط، واجتهدت للسير فيه على ما يوافق سياق الآيات وألفاظها، وأحياناً أستشهد بأقوال المفسرين المعتبرين.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.



٢٦ رمضان ١٤٤٤

١٧/٤/ ٢٠٢٣

* ❁ *

أولاً: أنوارٌ من قصص إبراهيم ﷺ في القرآن

(ويتضمن خمسة مقاطع
من الآيات القرآنية)

المقطع الأول
من أنوار قصة إبراهيم عليه السلام
آياتٌ من سورة مريم

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [سورة مريم:٤١-٥٠].

الفوائد:

الأولى: في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ بيان شَرَفِ منزلة الصديقية عند الله تعالى، إذْ وصف بها خليله إبراهيم عليه السلام، والصديقية متعلقة بكمال التصديق بالله وخبره ووعده، كما أنها

متعلقـة بتـمام الصـدق في الأقـوال والأفعـال، بحيـث يكـون الصدّيـق موافقـاً بعملِـه قولَـه تمـام الموافقـة.

وما يصف الله به الأنبياء في القرآن فهو على قسمين:

أ- قسم يختصّ بهم؛ وهو النبوة ولوازمها.

ب- قسـم يُشـاركهم فيـه غيرُهـم مـن المؤمنيـن؛ كالصديقيـة المذكـورة عـن إبراهيـم عليه السلام فـي هـذا المقطـع.

- والصفـات التـي امتُـدح بهـا الأنبيـاء ممـا لا يختصّـون بـه هـي من أعظـم مـا يُتقرّب بـه إلى اللـه تعالى، فعلـى المؤمـن والمصلح الذي يتحـرى هـدي الأنبيـاء أن يحـرص علـى تحقيـق صفـة (الصدّيقيـة) التـي هـي كمـال التصديـق وكمـال الصدق كمـا تقدم.

- **الثانيـة**: مقـام الولـد أمـام والـده يحـول – عـادةً – بينـه وبيـن النصيحـة، غيـر أن إبراهيـم عليه السلام يقـوم أمـام والـده مقـام الناصـح المحـاور المبيِّـن صاحـب الحجة، وهذا تأسيس للدعوة في البيوت وللأقربـاء ولـو كانـوا كبـاراً.

الثالثـة: مقـام الدعـوة والإرشـاد والتوجيـه يتطلـب استعمال الألفـاظ الحسـنة التـي تجعـل بيـن الداعـي والمدعو جسـرًا مـن القبـول، وهـذا ظاهـر في هـذه الآيـات في دعوة إبراهيـم لأبيه، والله تبـارك تعالى قـد جبـل نفـوس الناس علـى قبـول الرفـق والقول الليّن، والنفـور من

الغلظة والفجاجة.

الرابعة: أن العلم معيارٌ أساسٌ في الاتباع: ﴿قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ﴾ [سورة مريم:٤٣] فليس الرشد مرتبطاً بكبر السن دائماً أو بالخبرة والتجربة وحدها، فقد يُهدى الفتى -بالعلم- إلى ما لم يُهد إليه الشيخ.

الخامسة: في قول إبراهيم لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ بيان عجز ما يتعلق به المتعلقون من دون الله في إشارة إلى تمام كمال الله الذي هو السميع البصير الذي يغني عمن شاء ما شاء، واستحضارُ ذلك أثناء العبادة والصلاة من أعظم ما يحقق العبودية لله تعالى، ويقود إلى حُسن التذلل والافتقار والدعاء، وفيه من الفائدة الإصلاحية كذلك: أهمية تعرية ما يتعلق به الناس من غير الله ببيان عجزه وضعفه مع بيان تمام قدرة الله وغناه وإحاطته، وهذا يشمل الدين والشريعة والقوانين كذلك، فبيان قبح الأهواء البشرية مقابل تمام وكمال المنهج الرباني والشريعة الإلهية أمر مهم كما قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ [سورة المائدة:٥٠].

السادسة: قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ وفي هذا فائدتان:

١): أن ثمرة العلم: «الهداية» وليس الاستكثار من المعلومات.

٢): أن إبراز الثمرة للمدعو أمر مهم، خاصة وأنها تبدد شبهة الاتباع لمجرد الرئاسة والتقدم، وإنما الغرض من قول ﴿ٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ الهداية إلى الصراط السويّ فقط.

السابعة: حينما تخرج من سلطة الأضواء، وتكون عندك مرجعية صحيحة تحتكم إليها؛ فإن الحقائق تنكشف أمامك كما انكشفت لإبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي﴾ [سورة مريم:٤٢] بينما كان أبوه يعتقد في الأصنام أمراً عظيماً.

الثامنة: إظهار الحرص والشفقة على المدعو من هدي الأنبياء ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ﴾ [سورة مريم:٤٥].

التاسعة: أن وجود الخطاب اللين، والأسلوب الحسن، والعلم؛ لا يلزم منه استجابة الطرف الآخر، بل قد يزداد عناداً ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ [سورة مريم:٤٦].

العاشرة: القرآنُ يبين نفوس أصحاب الباطل، ومقدار كرهها للحق ومعاداتها له، فالقضية ليست في وجود الأسلوب، وإنما في محبة الباطل وكراهية الحق في ذاته، والحق والباطل لا يجتمعان.

الحادية عشرة: صاحب الحق وإن قُوبل بالتكذيب فلا يلزم أن يكون موقفه شديداً تجاه ذلك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ﴾ [سورة مريم:٤٧].

الثانية عشرة: المصلح قد تمر به مرحلة يحتاج فيها إلى الانتقال من وطنه ابتعاداً عن الباطل: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة مريم:٤٨].

الثالثة عشرة: إذا فارق المصلح الأهل والوطن والأحباب في ذات الله؛ فإنه يحتاج لما يُغنيه من التعلق بالله والاستئناس به، ما يخفف عنه هذا الفراق، كما قال إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ [سورة مريم:٤٨].

الرابعة عشرة: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ [سورة مريم:٤٩]: الله تبارك وتعالى يُعطي عباده الثابتين الصابرين الذين ضحّوا في سبيله عطاءات لا تخطر لهم على بال، وكثيرًا ما تكون بعد الابتلاءات، وكثيرًا ما يكون هذا العطاء من جنس نوع البلاء، فإبراهيم عليه السلام حين اعتزل أهله وقومه جازاه اللهُ بأن وهب له إسحاق ويعقوب وجعلهما أنبياء، فإذا ضحيت في سبيل الله، وصبرت في ذلك؛ فأحسن الظن بربك، فإن عاقبة البلاء حسنة.

المقطع الثاني
من أنوار قصة إبراهيم عليه السلام
آياتٌ من سورة الأنعام (١)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام:٧٤-٧٩].

الفوائد:

الأولى: أنّ الذي ينظر ببصر نافذ فإنه لا يغتر بما يُزيِّن به أصحابُ الباطل باطلهم، بل يرى حقائق الأمور دون بهرج أو تلبيس، فالأصنام التي كان يتّخذها والد إبراهيم وغيرُه من قومه، كانوا ينظرون لها على أنّها آلهة تنفع وتضر وتُخشى وتُرجى وتُخاف، بينما صاحب البصيرة إبراهيم عليه السلام كان يراها على حقيقتها، فهي أخشاب

أو أحجار لا تضر ولا تنفع.

ولكل زمان أصنامه وفتنته وتأثيراته، فالذي يريد الوصول إلى الحق ينبغي له أن يخترق ببصيرته الحجب الظاهرة، وينظر إلى حقائق القضايا بالدليل والبرهان.

الثانية: منهج الأنبياء في التعامل مع العقائد الباطلة لا يقتصر على نقد الفكرة وحدها، وإنما يكون معها وصفُ مَن يتبناها بما يستحق كذلك، فهنا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الأنعام:٧٤].

الثالثة: الله سبحانه وتعالى يحب مواجهة صاحب الحق للباطل، ولذلك يُكثر سبحانه من ذكر هذه المقامات في قصص الأنبياء.

الرابعة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾: النظر في المخلوقات وآثار صنع الله تعالى من الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإيمان واليقين، فقوله سبحانه ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٥] أي نتيجة رؤيته ملكوت السماوات والأرض، وهذا يبين أهمية التفكر في آيات الله الكونية وأنها من أعظم أسباب تحصيل اليقين.

الخامسة: المُصلح يحتاج إلى اليقين قبل أن ينطلق في دعوته، ومن يتأمل كتاب الله تعالى يجد أن الله يهيّئ لأنبيائه من الدلائل والبراهين

في بداية دعوتهم ما يجعلهم على يقين تام من صحة طريقهم، وسيأتي في قصة موسى عليه السلام أن الله أراه ابتداء آية العصا وقال ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [سورة طه:٢٣] قبل أن يأمره بالتوجه إلى فرعون، وهذا يدل على أهمية تعزيز اليقين بالنسبة للإنسان المصلح.

السادسة: في قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذَا رَبِّى﴾ .. وما بعدها من الآيات، اختلف العلماء في هذه الآيات الثلاث هل كان المقام فيها مقام «مناظرة» مع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، أو مقام «نظر» للبحث عن الدليل الموصل للإيمان ويكون هذا في بداية أمره قبل النبوة، والمقام هنا ليس للتفصيل في هذه المسائل وأدلتها، ولكن الفوائد ستنبني على ترجيح أحد القولين، ولعل الأقرب – والله أعلم –ما رجّحه ابن كثير وغيره أن المقام مقام مناظرة –وإن كان قد قال بالقول الآخر كثير من أهل العلم–، ومما يرجح ذلك:

أن هذه الآيات مسبوقة بقول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾، وكما قال البغوي رحمه الله في تفسيره: (أَفَتَرَاهُ أَرَاهُ الْمَلَكُوتَ لِيُوقِنَ فَلَمَّا أَيْقَنَ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ: «هَـٰذَا رَبِّيَ» مُعْتَقِدًا؟ فَهَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا).

السابعة: قد يحتاج الداعية إلى التنزّل في الخطاب مع المخالف حتى يصل إلى النتيجة الصحيحة في إبطال قول المـُخالف، كما فعل إبراهيم عليه السلام، قال السعدي رحمه الله في تفسيره: («قَالَ هَـٰذَا رَبِّي» أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟).

الثامنة: قول إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ تدل على أن علاقة إبراهيم عليه السلام بالربوبية ليست علاقة معرفية فحسب، وإنما علاقة قلبية تكون المحبة فيها أساساً ومبدأ، وفي هذه الآيات الجمع بين العقل والقلب، بين الاستدلال البرهاني وبين الشعور الوجداني.

التاسعة: إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء المائلين عن الشرك المتبرئين منه، المقبلين إلى الله إقبال إخلاص وتوحيد، كما قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٨-٧٩]. ولذلك فإن من يستدل باسم «إبراهيم» عليه السلام على التقريب بين الحق والباطل، وبين الإسلام والكفر، مُلقّباً هذا التقريب بالإبراهيمية أو الدين الإبراهيمي فقد تعلق باسمٍ هو أبعد الأسماء عن هذا المعنى، فهو إمام الحنفاء الذي يتبرأ من الشرك دائمًا، وهذه البراءة جزء أساسي من تحقيق التوحيد لله تعالى، إذ إنّ هذا التحقيق لا يكون إلا بالجمع بين «النفي» و «الإثبات»؛ نفي الألوهية عما سوى الله تعالى، وإثباتها

له وحده، وأما ما يسمى بالدين الإبراهيمي فالأولى به أن يسمى دين التلفيق والتحريف، لا دين الإمام الحنيف.

العاشرة: كان قوم إبراهيم عليه السلام لا يرون في الكواكب إلا المشهد الجزئي الصغير، فيرونها وحدها مستقلة عن خالقها -كما هو حال المنهج المادي اليوم-، وأراد إبراهيم عليه السلام أن يلفت انتباه قومه إلى المشهد الكلي الأعظم، إلى ما وراء هذه الكواكب، فقال لهم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، فكأنه يقول لهم: إن كنتم مبهورين بهذه الكواكب؛ فأنا قد وجهت وجهي لخالق هذه الكواكب ومكوكِبِها.



المقطع الثالث

من أنوار قصة إبراهيم عليه السلام

آيات من سورة الأنعام (٢)

قال الله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (٨٢) وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ (٨٣) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٨٨) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا

لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٠-٩٠].

الفوائد:

الأولى: في قوله سبحانه: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ [سورة الأنعام:٨٠] أنّ من هدي الأنبياء: الاستماع للناس، والدفاع عن الحق بالحجة والبيّنة والبرهان، بل والمبادرة إلى عرض الحق بدليله دعوة إلى الله تعالى، ولذلك أكثر الله تعالى من ذكر حوارات الأنبياء مع أقوامهم وجدالهم إياهم.

الثانية: من أعظم ما يثبت المصلح في طريقه أمام حجج الخصوم وكيدهم وشبهاتهم: ما يهبه الله له من الهداية الخاصة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ قال ابن كثير: (أَيْ: تُجَادِلُونَنِي فِي أَمْرِ اللهَّ وَأَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ* وَقَدْ بَصَّرَنِي وَهَدَانِي إِلَى الْحَقِّ وَأَنَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ؟ فَكَيْفَ أَلْتَفِتُ إِلَى أَقْوَالِكُمُ الْفَاسِدَةِ وَشُبَهِكُمُ الْبَاطِلَةِ؟!) وهذه الهداية تستلزم رؤية أنوار طريق الحق وتذوُّق حلاوته، وتستلزم الأنس بالله والثقة به، وتستلزم كذلك إبصار نقص طريق الباطل، وهذا كله من أعظم المثبّتات، ولا يكفي امتلاك الحجة والقدرة على النقض المعرفي لقول المخالف دون أن يعيش المصلح حقيقة الهداية ونعيم الأنس بالله وبدينه.

الثالثة: أن أصْحاب الباطل يخافون آلهتهم ورموزهم، وينسجون حولها الأساطير والخرافات التي تجعل لها الهيبة في النفوس، ومن ثم يخوّفون بها أهلَ الحق، ويهددونهم بقوتهم وقدرتهم على إلحاق الضرر بهم أو إخراجهم من أرضهم، وهذه سنة متوارثة بينهم يهددون بها الأنبياء، وتجد -في المقابل- الأنبياءَ على تمام الثقة بالله والتوكل عليه والاعتصام به، ومن ثم عدم الاكتراث بهذه التهديدات والتخويفات، وهذا ظاهر في هذا المقطع من قصة إبراهيم عليه السلام، وسأذكر لتمام الفائدة بعض المواضع القرآنية المشابهة المتعلقة بغيره من الأنبياء كذلك، فمنها مثلاً: ما قاله قوم هود عليه السلام عنه، وما أجابهم به: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة هود:٥٤-٥٥].

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه عن الأنبياء في قيلهم لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة إبراهيم:١٢].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الله في شأن نوح عليه السلام: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ

﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [سورة يونس:٧١]. **ثم توصية الله لنبيه محمد ﷺ** بقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٥-١٩٦].

الرابعة: كلما تشبّع قلب المصلح بالعلم بالله وعظمته وجلاله كان أعلى من المؤثرات الأرضية المحدودة أن تغيّر مفاهيمه، بل كان قادراً على أن يقلب على أصحاب الباطل باطلهم ويجرّهم إلى مربّع الحق ليضعهم فيه عراة أمام الحق، وهذا مأخوذ من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨١].

الخامسة: في قوله سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [سورة الأنعام:٨٣].

أنّ إنجازات المصلح وإن بذل فيها الجهد والسبب؛ فإن عليه أن يتذكر دائماً أن الفضل لله، فهو الذي يُؤتي المصلح حجته، وهو الذي يهديه ويسدده ويلهمه رشده.

السادسة: إنّما علا شأنُ الرسلِ وكَمُلوا وكانوا محلًّا للاقتداء؛ لأن الله هداهم: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾ [سورة الأنعام:٨٤] ومن أعظم ما هُدوا إليه: تحقيق الاستسلام لله تعالى وتمام التوكل عليه في تبليغ الرسالة والصبر

على الأذى في سبيل ذلك، وهذه الآيات من قوله ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [سورة الأنعام:٨٤] إلى قوله ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] من أعظم الآيات التي تُبرز قيمة الهداية ومنزلتها وشأنها في الإسلام.

السابعة: من أعظم ما ينبغي أن يخافه المصلح: أن يتسلل شيء من الشرك إلى عمله وقلبه، فإن ذلك سبب لسلب النعمة وحبوط العمل، فقد قال الله سبحانه في هذه الآيات في حق الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٨].

الثامنة: من أعظم سمات الأنبياء أنهم يحققون بأعمالهم ما يدعون إليه بأقوالهم، فكانوا نماذج عملية لا مجرد مقولات نظرية، ولذلك يأمر الله باتخاذهم قدوات وأئمة، فقال سبحانه: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وهكذا يكون المصلح حين يقتدي بهم، عاملاً بعلمه، فيستمد العلم والعمل من الأنبياء.



المقطع الرابع

من أنوار قصة إبراهيم عليه السلام

آيات من سورة البقرة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٢٤-١٣١].

الفوائد:

الأولى: أن التكليف الشرعي ابتلاء، وأن أولى الناس بإتمام متطلبات هذا الابتلاء هم الأنبياء ثم من تبعهم من الصالحين المصلحين.

الثانية: أنّ حُسن الامتثال لما أمر الله به من العبادات والتكاليف، وإتمام ذلك على وجهه وتوفيته = من مقدمات الإمامة في الدين: ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ﴾ [سورة البقرة:١٢٤]، ولا ينتظر المرء أن يكون إمامًا بمجرّد العلم.

الثالثة: في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ تنبيه إلى أهمية الاهتمام بالأجيال القادمة، والسعي لإيجاد الأئمة والمصلحين فيها.

الرابعة: لا تجتمع الإمامة في الدين مع الظلم ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٢٤]، فمن أراد أن يجعله اللهُ إمامًا فليجتنب الظلم.

الخامسة: أهمية كثرة الدعاء في مختلف الأحوال والمقامات، فهذا المقطع يبيّن مقدار التزام إبراهيم عليه السلام للدعاء في جميع أحواله، وهذا ظاهر في عامة الآيات المتعلقة بإبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء وإبراهيم ومريم، ولذلك وصفه الله بأنه ﴿أَوَّٰهٌ﴾ [سورة هود:٧٥] وقد رجّح الإمامُ الطبري بعد أن سرد الأقوال في تفسير كلمة ﴿أَوَّٰهٌ﴾

[سورة هود:٧٥] بأنه الدعّاء، أي كثير الدعاء، وهذا من أهم ما ينبغي على المؤمن أن يقتبسه من أنوار الأنبياء.

السادسة: عدم الركون إلى العمل الصالح وحده مهما بذل الإنسان فيه وتعب، بل لا بد من إتباعه بالدعاء بالقبول ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [سورة البقرة:١٢٧].

السابعة: أن من أنوار الأنبياء: معرفة الأسماء الحسنى التي يحسن استعمالها مع الدعاء المناسب لها، فهنا نجد استعمال إبراهيم عليه السلام لاسمي الله ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ مع الدعاء بالقبول.

الثامنة: أن من هدي الأنبياء الدعاء بتحقيق أصل الإسلام وأساس العبودية لله تعالى، وأنه من أهم ما ينبغي التفكير فيه للنفس وللأمة وللأجيال القادمة: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [سورة البقرة:١٢٨].

التاسعة: أن الإعراض عن ملة إبراهيم (التي هي الاستسلام لله وحده والبراءة من الشرك وأهله) أساس السفه والجهل: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٣٠].

العاشرة: هذه الآيات تبين قيمة الاستسلام لله وحده، وأن عليه مدار الفلاح، لأنه من أهم ما وصَفَ الله به خليله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:١٣١]، والمتأمل في سورة البقرة عموماً يجد أن هذه القضية مركزية فيها.



المقطع الخامس
من أنوار قصة إبراهيم عليه السلام
آيات من سورة إبراهيم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [سورة إبراهيم:٣٥-٤١].

الفوائد:

الأولى: وصف الله إبراهيم عليه السلام بأنه ﴿أَوَّاهٌ﴾ [سورة هود:٧٥]، ومعنى ذلك – كما تقدم – أنه كان كثير الدعاء، وهذه الآيات أنموذج تفصيلي على أدعية إبراهيم الخليل عليه السلام، فليتأملها المصلح، وليتعلم من افتقاره عليه السلام واستكانته لربه، فإن من أهم قبسات أنوار الأنبياء:

تعلم عبودية الدعاء منهم عليهم صلوات الله وسلامه.

الثانية: أن المصلح مهما بلغ من الدرجة عند الله تعالى ومن العلم بدينه فإنه يظل يدعو ربه أن يجنبه الشرك والكفر والتعلق بغيره: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم:٣٥].

الثالثة: من سمات إبراهيم عليه السلام: الرحمة بالذرية والحرص على أن تصلهم أنوار الرسالة وأن يكونوا من العابدين الشاكرين: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، ولذلك فلا عجب أن يكون ابنُه إسماعيل عليه السلام حريصاً على أهله بأن يقيموا الصلاة فقد تربى على يد إبراهيم عليه السلام، ولذلك قال الله تعالى عن إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة مريم:٥٥].

الرابعة: يستحب في الدعاء ألا يكون سؤالاً وطلباً فقط، بل يجب أن يُضمّن معنى الاعتراف والإقرار والحمد والثناء لله سبحانه وتعالى، فيراوح القانت في دعائه بين هذه المعاني ليوافق أدعية الأنبياء وقنوت الخليل عليه السلام، وإذا تأملت في هذه الآيات ستجد فيها الانتقال من المسألة إلى الإقرار والاعتراف ثم إلى المسألة فالثناء والحمد ثم إلى المسألة والدعاء.

ثانيًا: أنوار من قصص موسى ﵇ في القرآن

(ويتضمن ستة عشر مقطعاً قرآنياً)

المقطع الأول
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة القصص

﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ

إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة القصص:١-١٤].

الفوائد:

الأولى: أن وجود الطغاة المفسدين المتجبرين إنما هو بعلم الله تعالى وتحت إحاطته، فالله يتلو علينا من نبأ هذا الطاغية المجرم، ويقص علينا أخباره في هذه السورة وفي غيرها، ويفصّل لنا بعض جرائمه، ثم يبين لنا كيف كان المخرج من تسلطه وجبروته، وكيف صلحت أحوال المستضعفين في زمنه، والفائدة من ذلك أنه إذا عاش المسلمون زمناً تسلط عليهم فيه طاغية أو متجبر يسير على نهج فرعون في استضعاف الناس وقهرهم ومحاربة دينهم؛ فعليهم ألا يجعلوا ذلك سببا لليأس مهما بلغ طغيانه، فالله يرى ويسمع ويدبّر سبحانه، ويستفاد من ذلك أيضاً: أهمية فهم السنن الإلهية في التعامل مع هؤلاء المجرمين، وهذا من أهم ما يُستفاد من قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

الثانية: أن الطغاة المتكبرين قد يَصِلون في سبيل تثبيت ملكهم إلى درجات من الظلم لا تخطر على بال، فهذا فرعون يذبّح أجيالاً من الأطفال الرُّضّع لأنه مُتخوف من طفل واحد منهم لا يعلم عينه، فجعل الوسيلة للتخلص منه هي أن يذبح كامل الجيل، وهذا ما لا يخطر على بال إنسان فيه فطرة الرحمة، ثم إن العجب ليس منه وحده، بل من جنوده وأعوانه، فهو لم يكن يُباشر تمرير السكين على رقاب الأطفال وإنما كان يأمر بذلك، والمنفذون هم الجنود، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [سورة القصص:٨]، ومن المهم للمؤمن أن يفهم سبيل المجرمين، ويفقه مناهجهم، فإن قلوبهم متشابهة وإن اختلفت أزمانهم وأدواتهم.

الثالثة: الله سبحانه وتعالى ينظر إلى المستضعفين من عباده، ويُدبّر لهم، ويأمر المؤمنين بنصرتهم، ولذلك قال سبحانه -بعد أن وصف حال المستضعفين زمن فرعون- قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة القصص:٥]، ولو تُركَ المتجبرون على طول الزمن دون دفع لهم لفسدت الأرض، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة:٢٥١]، وهو سبحانه يدافع عن المستضعفين تارة بالقدَر المحض (بإهلاك الظالمين)، وتارة بالتكليف الشرعي للمؤمنين كما قال سبحانه:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [سورة النساء:٧٥].

الرابعة: أن ميزان المستضعفين في توقيت النصر يختلف عن ميزان الله سبحانه وتعالى، فالمستضعفون المقهورون يريدون الفَرَج المباشر، والنصر السريع، والإهلاك العاجل للظالم، وأما في ميزان الله تعالى فالأمر مختلف، فهناك سنن مقدرة، وحُجج وإعذار، وإملاء وإمهال، وابتلاء وتمحيص، وشهداء وأولياء، وقد ييأس المظلوم خلال ذلك، غير متنبّه للسنن الإلهية، والتقديرات الربانية.

ومن يتأمل هذه الآيات في قصة موسى عليه السلام يُبصر ذلك جلياً، فإن الله سبحانه بيّن إرادته في التمكين للمستضعفين، وقلْبِ أحوالهم: من الذل والاستضعاف، إلى التمكين والإمامة ووراثة الأرض، ولكنه سبحانه لم يجعل الطريق إلى ذلك قصيراً، بل أعقب هذه الآيات بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [سورة القصص:٧]، فالطريق ابتدأ من ولادة موسى عليه السلام، ثم تنشئته في قصر فرعون، ثم الابتلاءات والشدائد والفتن التي صنعه الله بها، ثم الرسالة، ثم الدعوة، ثم المناظرة والتحدي، فظهور الحق، ثم الصبر الطويل، ثم كانت نهاية فرعون.

وهـذا الطريـق الطويل فيـه عبر عظيمـة، وفوائد جسيمة، ودروس عميقـة، سيأتي بيانها في سياق التأمل في قصـة موسـى عليه السلام بـإذن الله تعـالى، فسبحان الله العلي العظيـم، الهـادي بكتابه من يشـاء إلى صراط مستقيم.

الخامسة: هـذه الآيـات فيها ذكـر الألطاف العجيبـة مـن الله تعـالى لنبيـه موسـى عليه السلام، فمنهـا: أنـه جعـل نجاتـه في إلقائـه في اليـمّ، مـع أن هـذا الإلقـاء مهلكة في أصله، إلا أنه كان لموسـى نجاة، ومنها: تسـخير زوجة فرعـون لـه، وعطـف قلبها عليـه: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [سورة القصص:٩]، ومنهـا: تحريـم المراضـع عليـه، حتـى يعـود إلى حجـر أمـه فيرضـع منهـا وتقر عينهـا به.

وقصة موسى عليه السلام عجيبة عظيمة، وسيأتي بيان ما فيها بإذن الله.

السادسة: أن العُمـر لـه تأثـير عـلى مسـيرة المصلـح، فالله سـبحانه لم يـؤتِ موسـى النبـوة إلا بعـد أن بلـغ أشـده واسـتوى، وكذلـك قال في يوسـف عليه السلام.

وبلـوغ الأشـد قـال بعـض المفسريـن إنه بلـوغ الأربعـين، وقيل عند الثلاثـين وقيـل عنـد الثالثـة والثلاثين، وقيـل غير ذلـك، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يبعثـه الله إلا بعـد أن بلـغ الأربعين.

والمعنى المستفاد من ذلك، أن حضور الدروس والبرامج العلمية والمشاركة في حلقات التحفيظ لا يكفي ليتحمل المصلح الأعباء العظيمة، بل إن مما ينبغي أن يُدركه المصلح أن العمر والتجربة لهما أثر في مسيرته، وقد يقوده هذا إلى التأني في القرارات الإصلاحية المصيرية.



المقطع الثاني

من أنوار قصة موسى عليه السلام آيات

من سورة طه (١)

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [سورة طه:٩-١٦].

الفوائد:

أوّلًا: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ هذا الأسلوب الاستفهامي في الآية فيه لفتٌ للانتباه وتعظيمٌ للحدَث، فالحديث الذي سيأتي سيكون عن أمر عظيم، وهذا يفيد بأن الأمور المتعلّقة بالأنبياء يجب أن تُعطى اهتمامًا خاصًّا، وقد تكرر هذا في شأن موسى عليه السلام مرتين بنفس اللفظ، في سورتي طه والنازعات، وهذا يدل على أهمية قصة موسى عليه السلام، وهكذا ينبغي للداعية والمصلح أن يستعمل من أساليب الخطاب ما يُناسب مقام الحديث.

ثانيًا: أن الله تعالى يجعل للأمور العظيمة مقدمات ومعانيَ تجعل لها في النفس هيبة ومكانة، فلما كان شأن الوحي ثقيلاً عظيماً كانت قصة تلقي موسى عليه السلام للوحي عجيبة عظيمة كذلك، فقد أبرز الله له من الآيات والعجائب ما استدعى من موسى أن يفرّ حين رأى بعضها من الرهبة والخوف، ثم طمأنه الله تعالى، وبيّن له وعلّمه، ويمكن أن نستفيد من هذا على المستوى العام أنه يحسُن بمن يسير في طريق شريف يتّبع فيه الأنبياء في الدعوة والإصلاح أن يدرك ما يُبين له شرف هذا الطريق ومكانته؛ حتى يستقبل ما يتطلّبه هذا الطريق من الأعباء ويقدّر المسؤولية.

ثالثاً: أن العلم بالله تعالى هو أساس الطريق بالنسبة للمصلح، وأول خطواته؛ فالله سبحانه حين كلم موسى عرّفه عليه قبل أن يأمره بالذهاب إلى فرعون ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾.

رابعاً: أن الثمرة المترتبة على تمام العلم بالله هي عبادته وحده ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فليست القضية في العلم المعزول عن العمل، وإنما في العلم الحامل على العمل.

خامساً: أن الصلاة من أعظم العبادات التي يحتاجها المصلح لتكون زاداً له في الطريق ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه:١٤] ومما يؤيّد ذلك: أن الله فرض قيام الليل في أول الإسلام على

النبي ﷺ وأصحابه ليكون زاداً لهم في الطريق.

سادساً: أهمية إدراك المقاصد من العبادات، وأنّ إجراء العبادة مع وضع العين على الثمرة والمقصد من أهم ما يحتاج المؤمن أن يُذكّر به، وهذا مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه:١٤] قال الطبري رحمه الله: (معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها)، وقال ابن سعدي رحمه الله: (وقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة).

سابعاً: أهمية استحضار الساعة وفناء الدنيا بالنسبة للمصلح، وأن ذلك من أهم ما ينبغي أن يُستعان به على الثبات، وعدم الاغترار بشبهات المبطلين وإغراءات الفاسدين، **قال الله تعالى:** ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾.



المقطع الثالث
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة طه (٢)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:١٧-٣٦].

الفوائد:

أوّلًا: في جواب موسى عليه السلام عن سؤال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ قال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾؛ أنّ الإنسان الفطن يحاول إدراك مقاصد الألفاظ والأسئلة ولا يقف عند ظاهرها فقط، فلو وقف

موسى عليه السلام عند ظاهر السؤال لقال: (عصا) أو ﴿عَصَايَ﴾ [سورة طه:١٨]، ولكنه فهم من السياق أنّ السؤال كان متجاوزًا للماهيّة، فذكر استعمالات العصا كذلك.

ثانياً: المصلح يحتاج إلى التدريب والتجربة قبل الانطلاق في المشاريع الإصلاحية الكبيرة الصعبة، فالله سبحانه هيأ موسى عليه السلام وعلمه كيف يتعامل مع العصا، ويرى كيف تستحيل إلى حية ضخمة، ثم كيف يأخذها ويرجعها مرة أخرى، وهذا سهّل عليه فعل نفس الشيء أمام فرعون.

ثالثاً: المصلح يحتاج إلى تثبيت وطمْأنة، خاصة إذا كثرت المخاوف وصعب الطريق وكثرت أعباؤه، ولذلك نجد في قصة موسى عليه السلام تكرارا للطمأنة الإلهية له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [سورة طه:٢١]، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة طه:٦٨]، ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص:٢٥]، ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ [سورة القصص:٣١].

رابعاً: من المهم أن ينطلق المصلح في رسالته وهو موقن بصحتها، فيكون على بصيرة وبيّنة، وهذا هو ما كان عليه المرسلون الذين تكرر في خطابهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [سورة هود:٢٨].

وقد كان الله سبحانه يريهم من الآيات والبينات ما يجعلهم على هذا الإيمان واليقين، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٥]. وقال الله في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [سورة النجم:١٨].

وهكذا نجد في هذا الموضع من قصة موسى عليه السلام أن الله أراه من الآيات الكبرى كذلك.

والمستفاد من كل ذلك: أهمية العناية بتعزيز اليقين وتثبيت الإيمان في سياق إعداد الدعاة وبناء المصلحين.

خامساً: يؤخذ من تأييد الله أنبياءه بالمعجزات أنه سبحانه يُحبّ أن يؤيّد الحق بالبراهين، وبما أنَّ هذه المعجزات قد انقطعت بانقطاع الوحي من السماء، فإن المصلح المتبع للأنبياء يحرص على أن يكون مُبيْناً في دعوته، مستدلاً بالحجج الصحيحة، قادراً على إثبات الحق بدليله، متمكناً من قطع حجة المخالف، فإن هذا كله مما يحبه الله تعالى.

سادساً: في قوله سبحانه: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [سورة طه:٢٤]. أن الله تبارك وتعالى لا يجعل الطغيان يستمر في الأرض دون أن يهيئ الأسباب لإزالته، طالت المدة في ذلك أو قصرت، فالطغيان لا يستمر، لكن ذلك بميزان الله وليس بميزاننا.

سابعاً: في دعاء موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:٢٥-٣٦]، فوائد، منها: أن الإنسان مهما بلغ في العلم والإيمان والمنزلة عند الله فهو يحتاج دوماً إلى الافتقار والتذلل لله والاستعانة به، وأنه يحتاج كذلك إلى رفقاء مؤنسين ووزراء معينين، ولذلك قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال:٦٢]، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: (إنّ لكل نبي حواريًّا)[١]، والحواريُّ: الناصر.

ومن الفوائد كذلك: أن المصلح يحتاج إلى المدد في شأنه الداخلي والخارجي، ففي داخل نفسه يحتاج إلى انشراح الصدر، وفي الخارج يحتاج إلى تيسير الأمر ويحتاج إلى الأعوان والأنصار.

(١) أخرجه البخاري، (٢٨٤٧).

ثامناً: أنّ الله سبحانه يحبّ كثرة ذكره وكثرة التسبيح بحمده، ويجب أن يكون هذا الذكر غاية من الغايات التي يسعى المصلح لالتزامها والمحافظة عليها، ولذلك توسّل موسى عليه السلام إلى ربه بها، فأجاب الله دعاءه وآتاه سؤله.



المقطع الرابع

من أنوار قصة موسى عليه السلام

آيات من سورة القصص (٢)

قال الله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [سورة القصص:٢٩-٣٥].

الفوائد:

الأولى: حين جاء موسى عليه السلام إلى الوادي مبتغياً من النار قبساً أو من أهلها هداية الطريق، فناداه الله ذو الجلال والإكرام وكلّمه، ثم أراه من الآيات الكبرى ما أراه، كان ذلك كله من أعظم المشاهد التي حصلت في تاريخ البشر، وكان أشرف يوم في حياة موسى وأعظمه يومَ أن كلمه الله تعالى، وهذا كلّه هيأ الله به موسى عليه السلام لأعباء الرسالة العظيمة، ولمواجهة الطاغية الأكبر في الأرض.

ومِن هذا المشهد نستفيد أنّ المصلحين الذين يسيرون على سنن الأنبياء والمرسلين ويواجهون المجرمين من أعداء الدين، أنه بقدر تكليفهم وبقدر صعوبة ما يواجهون؛ فإنهم يحتاجون إلى التهيئة الداخلية، ويحتاجون إلى اليقين والبراهين، ويحتاجون إلى معرفة الله والعلم به، قبل الانطلاق إلى تلك الأعباء والتكاليف الشديدة.

الثانية: مركزية العلم بالله تعالى في بداية طريق المصلح، فهو أساس كل علم، وكل الأعمال القلبية تبدأ منه.

وطريقُ تحقيق هذا العلم به سبحانه يكون بخمسة أمور:

١- التدبر في كتاب الله.

٢- والتفكر في مخلوقاته.

٣- والاعتبار بأقداره وأيّامه ومعرفة سننه.

٤- والبصيرة بسبيل أنبيائه.

٥- والعمل المورث المزيد من الهداية.

فإذا تحقق العلمُ بالله في نفس المؤمن عبر الطرق المذكورة؛ فإنه يكون سببًا لثلاثة أصول عظيمة من أصول العبودية، هي القواعد الكبرى لأعمال القلوب، وهي: (اليقين، والمحبة، والخشية).

ونلاحظ في قصة موسى عليه السلام أنه تكرّر في مواضعها في القرآن ذكر هذا المعنى (أي العلم بالله)، ففي هذا الموضع نودي موسى بقول الله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة القصص:٣٠]، وورد في سورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [سورة طه:١٤]، وفي سورة النمل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة النمل:٩].

الثالثة: من أهم المشكلات الموجبة للإصلاح: وجود الظلم، والفسق، والطغيان، فالله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون وقومه -مبيّناً سبباً من أسباب إرساله إياه-: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [سورة طه:٢٤]. وفي موضعين آخرين: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [سورة القصص:٣٢].

وفي موضع رابع: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠]، وهذا يبين أن وجود هذه الصفات في الناس يُعدّ سبباً شرعياً لوجود المصلحين، فعلى المصلحين أنْ يتنبهوا

للأسباب الشرعية الموجبة للإصلاح، وأن من أهمها وجود الظلم والاستضعاف، وأن تحرير المستضعفين مجال إصلاحي من أعظم المجالات.

الرابعة: أنّ وجود المشاركين للمصلح في طريقه، المؤازرين له، من أهمّ ما يشد من عضده، ويقويه، ويسهل عليه مواجهة التحديات والمصاعب: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [سورة القصص:٣٥].



المقطع الخامس
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة طه (٣)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [سورة طه:٣٧-٤١].

الفوائد:

الأولى: أن الرسالة الإصلاحية كلما عظمت متطلباتها، وكانت الأخطار المحدقة بها شديدة؛ فإن ذلك يتطلب مزيداً من التهيئة لحاملها والتربية له، وهذا ما جرى لموسى عليه السلام، إذ كانت رسالته فيها مواجهة لفرعون الطاغية الأكبر، فصنعه الله على عينه، وعرّضه للابتلاءات والشدائد، ففتنه وامتحنه حتى خلص وصفا: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [سورة طه:٤٠].

الثانية: مع أن الله سبحانه قال لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [سورة طه:٣٩] إلا أنه تعرّض للشدائد والابتلاءات والفتن. والمستفاد من ذلك: أنّ الإنسان وإن كان تحت رعاية الله وعنايته؛ فهذا لا يعني أنّه لن يتعرّض للفتن والمصاعب، بل قد تكون تلك الفتن والمصاعب من مقتضى عناية الله بالمؤمن ليصنعه ويربيه ويهيئه.

الثالثة: إذا وضع الله القبول في الأرض لعبدٍ؛ فلا يمكن لأحد أن يضع حاجزًا بينه وبين قلوب الناس، فهذا موسى عليه السلام قال الله له: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [سورة طه:٣٩] فلا يراه أحدٌ إلا أحبّه، مع أن فرعون سعى بكل أدواته لتشويه سمعة موسى وتشويه رسالته، وقال محذراً منه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة غافر:٢٦] وقال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الزخرف:٥٢]، ومع ذلك فقد جعل الله لموسى المحبة والقبول.

الرابعة: أن الله سبحانه إذا أراد حفظ عبده فإنه يرعاه ولو أحدقت به الأهوال والمخاطر من كل اتجاه، ولو كان العبدُ عاجزاً عن دفع الأذى، فهذا موسى عليه السلام يرعاه الله وهو في التابوت وحيدًا في خضم نهر عريض عميق، ثم يرعاه في قصر الطاغية الجلّاد فرعون حتى كمل نموّه واشتدّ.

الخامسة: سار موسى ﷺ من مدين وهو لا يدري عن القَدَر الذي ينتظره، واقترب من النار وهو لا يدري ما وراءها، بل كانت غايته الاقتباس منها أو السؤال عندها، وعين الله ترعاه، وكل خطوة يخطوها موسى فهي مكتوبة في القدر ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:٤٠]، والمستفاد من ذلك أن يدرك المصلح أنه إذا قدّر الله له الرفعة والسبق وقسم له الخير؛ فإنه سيُساق إلى قدره، فليطمئن، وليبذل ما عليه، فالله وليّه ومولاه.



المقطع السادس
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة طه (٤)

قال الله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [سورة طه:٤٢-٥٣].

الفوائد:

الأولى: هذا الدين جاء لإصلاح الناس وهدايتهم، ولم يأتِ للانتقام منهم، حتى فرعون وهو الطاغية المفسد، إذا تاب وتذكر وخشي الله فإنّ الله يتوب عليه، ويقبل إيمانه، ولذلك فإن على المصلح ألا ينسى أن وظيفته الأولى هي الدعوة إلى الله تعالى، وأن

آلام المستضعفين مهما بلغت وآلَمَتْ فيجب ألا تُنسيه هذه الوظيفة الشريفة.

الثانية: أن مقام الدعوة والتذكير يجب أن يكون مصحوباً بالقول اللين، والخطاب الحسن، فإن الثمرة لا تتحقق إلا بذلك.

الثالثة: أن وجود الخطاب اللين والقول الحسن لا يقتضي استجابة المدعوّ، فقد يمنعه هواه، أو جاهه وسلطانه.

الرابعة: الأنبياء بشر، ففيهم غريزة الخوف، ولذلك قال موسى وهارون: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [سورة طه:٤٥]، ولكنهم يتغلبون على هذه الغريزة باليقين والتوكل والاعتماد على الله، فحين قال الله لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه:٤٦] انطلقا غير مترددين، حتى حين ضاق الأمر بعد سنين أمام البحر تذكر موسى عليه السلام هذا الوعد الإلهي فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الشعراء:٦٢].

الخامسة: أن اليقين بمعية الله من أعظم ما يُطمئن المصلح في مسيرته ودعوته، وهي رتبة صعبة المنال لغير الأنبياء، ولكن يمكن تحقيقها إذا اجتمع في المصلح هذه الخصال:

١) العلم بالله وشريعته وسننه.

٢) تمام التصديق بأخباره.

٣) الاستحضار الدائم لمراقبته «مرتبة الإحسان».

٤) تمام التوكل عليه سبحانه.

٥) الاستهداء الدائم به.

٦) الصبر وعدم استعجال الثمرة.

السادسة: أن من أعظم ما يعين المصلح على أداء رسالته ومكابدة المصاعب ومواجهة التحديات: (دوام ذكر الله)، فالله سبحانه أمر موسى وهارون إذا انطلقا برسالة الله ألا يفترا ولا يضعفا عن ذكره: «﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [سورة طه:٤٢]، قال الطبري رحمه الله: «﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكَرْتُما مَنِّي عليكما نِعَما جمَّة، ومِنَنًا لا تحصى كثرة».

السابعة: أن تحرير المستضعفين من أعظم المقاصد الإصلاحية الشريفة، وذلك لأن رسالة موسى عليه السلام جاءت لأمرين:

أ- دعوة فرعون وقومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وهي دعوة كل الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦].

ب- تحرير المستضعفين من الذل والقهر: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [سورة طه:٤٧].

وهذا فيه فوائد مهمة منها:

أولاً: أهمية العناية بمشكلات العصر، وذلك أنّ كل نبيّ كان يعتني بمشكلات عصره، فاعتنى لوط عليه السلام بمشكلة الفاحشة، واعتنى شعيب عليه السلام بمشكلة التطفيف في الميزان، واعتنى موسى عليه السلام بمشكلة المستضعفين.

ثانياً: أن وجود مشكلة كبيرة في زمن المصلح لا ينبغي أن تُغفله عن المشكلة في أصل الدين وأساسه؛ لأن الأنبياء اعتنوا بكليهما.

هذا وإنّ زماننا فيه مشكلات كثيرة، غير أن من أهمها: (مشكلة الاستضعاف والقهر للمؤمنين في كثير من بقاع الأرض)، ولذلك فإن من الأهمية بمكان علاجها والعناية بها.

الثامنة: في قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [سورة طه:٤٨]: أن الإنذار بذكر العذاب لا يتعارض مع القول اللين، وأن من المهم للمصلح أن يجمع بين الترغيب والترهيب، بل إن الخطاب الذي يكتفي بالترغيب دون الترهيب -أو العكس- فهو خطاب ناقص لا تتم الدعوة به، بل لا بد من الجمع بين الأمرين، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:٤٥].

التاسعة: ينبغي على الداعية أن يتنبّه لأصول الحوار الصحيح، فلا ينزلق إلى المغالطات والـمُشتِّتات التي يطرحها الخصم، بل يُركز على القضية الأساسية، ويعيد طرح البرهان عليه إن اقتضى الأمر ليظل الحديث مُركَّزاً حولها، يؤخذ هذا من عدم استمرار موسى عليه السلام مع فرعون حين قال له: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [سورة طه:٥١]، أي فما بالها لم تؤمن برسالة التوحيد؟ فلم يدخل موسى عليه السلام معه في حوار تفصيلي حول الأمم السابقة والملابسات المتعلقة بها، وإنما اختصر الحديث فقال: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [سورة طه:٥٢]، ثم أرجع الحديث للنقطة الأولى، واستمر في سرد الأدلة الدالة على وحدانية الله وعظمته واستحقاقه للعبادة، فقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ [سورة طه:٥٣]، وهذا منهج حواري مهم، ويُذكّر بما فعله إبراهيم عليه السلام مع النمرود حين قال النمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، انصرف إبراهيم عليه السلام عن مغالطته هذه فألزمه بالحجة التالية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

ومع ذلك كله من الحجج والأسلوب الطيب والقول اللين، إلا أن ردّ فرعون كان مليئًا بالعناد والكذب والتشويه.

المقطع السابع
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة طه (٥)

قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ۝٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [سورة طه:٥٧-٦٩].

الفوائد:

الأولى: أنّ من سُنة الطغاة والمكذبين: تشويه رسالة الحق وتشويه حَمَلة الحق، فبعد أن بيّن موسى عليه السلام لفرعون رسالة الحق بغاية البيان؛ عَمَد فرعون إلى تشويهها ليُحذّر منها ويصرف الناس عنها، ابتداءً بالملأ الذين عنده، ثم بعد ذلك لعامة الشعب، فرمى موسى عليه السلام بتهمتين:

أ- أنه ساحر.

ب- أنه جاء ليخرجهم من أرضهم.

مع أنه كان في قرارة نفسه يعلم صدق موسى ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [سورة النمل:١٤]، لكنّه اغترّ بقوّته وملكه وحاشيته وأجهزته الإعلامية والعسكرية، وهكذا هم المجرمون في كل الأعصار والأمصار، ونستفيد من ذلك: أنّه ليس كلّ من عادى الحق فلجهله به، بل قد يكون عالماً به ولكنه مغترٌّ بما لديه.

الثانية: من مشكلات الطغاة والمجرمين والـمُحرّفين لدين الله أنهم يغترّون بكذبهم، ويصدقون خيالاتهم، ويسيرون خلف ظنونهم، ثم ما يلبثون أن يواجهوا الحقيقة بعد فوات الأوان، وهذا ما حصل مع فرعون، حيث اغترّ بقوته وتلبيسه وقال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة طه:٥٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات:٢٤]، ثم بعد فوات

الأوان قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة يونس:٩٠]، وهذا ليس خاصًّا بفرعون، ففي كتاب الله نماذج أخرى، كما قال الله عن اليهود: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران:٢٤].

الثالثة: إذا بدت بوادر المواجهة الحتمية مع أهل الباطل؛ فعلى المصلح أن يُقْدِم ويواجِه، فحين قال فرعون لموسى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [سورة طه:٥٨]؛ اختار موسى عليه السلام أعلى ما يمكن من ساحات المواجهة وأزمنتها، فقال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [سورة طه:٥٩]، وهذه الساحات يحبها الله تعالى، وهي ساحات الفرقان التي يُفرَق فيها بين الحق والباطل.

الرابعة: على المصلح ألا ينسى حرصه على هداية الخلق حتى في ساحات المواجهة، وذلك أن موسى عليه السلام حين أُتيحت له فرصة مخاطبة السحرة قبل المناظرة قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [سورة طه:٦١]، وكان لهذا التذكير أثره عليهم: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [سورة طه:٦٢]، وهذا يفيد كذلك: عدم اليأس من تكرار الدعوة، ولو كان المدعوُّ تُستَبعَد منه الاستجابة، فقد تنفذ الكلمة إلى باطنه وتُحدِث أثرها ولو بعد حين.

الخامسة: أهل الباطل وإن عظمت صورتهم أمام الناس إلا أنهم في بواطنهم قد يضعفون ويترددون، ولذلك تجدهم يُصبّرون بعضهم ويثبتون أنفسهم إمّا بالترغيب أو بالترهيب، وهذا نلمسه في تزعزع أمر السحرة بسبب كلمة موسى عليه السلام، ثم محاولتهم تصبير أنفسهم بقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ [سورة طه:٦٣].

السادسة: أن من أكبر أسباب رفض الحق: الخوف من فقدان المكاسب الشخصية ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [سورة طه:٦٣].

السابعة: أن المنغمس في الباطل يصعب عليه إدراك النيات الحسنة للطاهرين، فهو يظن أن كل الناس مثله، وهذا كان موقف السحرة حين وعظهم موسى عليه السلام فلم يستطيعوا فهم دوافعه الصادقة، ففسروها بما يعرفونه من الباطل، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [سورة طه:٦٣].

الثامنة: أهل الباطل قد يمتلكون من الأدوات التأثيرية ومن القوة المادية ما يخيف النفوس ويرهبها ويطيش العقول؛ فيتبعهم الناس لأجل هذه الأدوات ولأجل القوة المادية، فيصدقون بأفكارهم التافهة وبدينهم الباطل لا لقوة الدليل وإنما للرهبة النفسية: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف:١١٦]. وقد يقع

في نفس المصلح شيء من الرهبة لهذا الكيد والمكر العظيم ولا يكون ذلك نقصاً فيه إذا لم يهيمن عليه ولم يصرفه عن القيام بواجبه في مواجهة هذا الباطل ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [سورة طه:٦٧].

التاسعة: أشد النّاس احتياجًا للتثبيت والمؤازرة، هم المتصدّرون لمواجهة أهل الباطل، فإنهم يلاقون من كيدهم ومكرهم وشبهاتهم وأدواتهم الأمر الشديد، ولذلك قال الله لموسى ﷺ بعد أن جاء السحرة بسحرهم العظيم: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة طه:٦٨].

العاشرة: من أكثر ما يُثبّت الإنسان في مقام الصراع المباشر مع أهل الباطل: أن ينظر إلى حقيقة الباطل ومقدار فساده وضعف قواعده، ويقارنه بجلال الحق الذي لديه فيرى الفرق ماثلاً أمامه، فيتمسك بالحق ويزدري الباطل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [سورة طه:٦٩].



المقطع الثامن
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة طه (٦)

قال الله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [سورة طه:٧٠-٧٣].

الفوائد:

الأولى: أنَّ اليقين بصحّة الحقّ، ورؤية البراهين القطعية المؤيدة له، من أهم ما يجعل المسلم ثابتًا على الحق ولو كان هذا الثبات محفوفاً بأشدّ المخاطر، فالسبب الذي جعل السحرة يثبتون أمام تهديد فرعون هو يقينهم التام بصحة رسالة موسى عليه السلام لأنهم كانوا أعلم الناس بالسحر وطرائقه، فحين رأوا عصا موسى عليه السلام؛ أدركوا يقينًا أنَّ هذا ليس بالسحر، وأنه ليس من مقدور البشر، ثم استجابوا لداعي اليقين ولم يقفوا أمام عقبة الهوى فخرّوا سُجّداً.

لذلك لما سمع العرب القرآن - وهم أهل الفصاحة والبيان -

أدركوا أنه ليس من جنس أقوالهم، وأنه فوق قدرتهم وطاقتهم، فعجزوا أمامه، ولكنّهم وقفوا أمام عقبة الهوى ولم يتجاوزوها، فسقطوا وخسروا.

الثانية: لِلحقّ -إذا بانت أنواره- سطوةٌ على النفوس، وتأثير على القلوب، فالسحرة حين رأوا نور الحق (ألقوا سجدا) والتعبير بالإلقاء بليغ في بيان سطوة الحق على النفس، وهذا متكرر في كتاب الله، فانظر إلى خاتمة سورة الإسراء تجد فيها وصف أثر كلام الله على نفوس بعض المؤمنين: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٩].

الثالثة: من موضوعات القرآن المهمة: معرفة سبيل المجرمين وفهم نفسياتهم ودوافعهم، وهذا متكرر في القرآن، وفي هذه الآيات ذِكر لشيء من ذلك، ففرعون يرى أنَّ على الناس أن يستأذنوه قبل أن يؤمنوا بالحق، ولا يُقبل من أحد أن يتبنّى عقيدةً غير عقيدته حتى ينتظر موافقته، بل هو قد قالها صراحة: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [سورة غافر:٢٩] وهذا ليس خاصًّا بفرعون، فهو منطق متكرر، ومع كون ذلك عجيباً؛ فإن الأعجب منه موافقة الناس على ذلك واستجابتهم له وتصديقهم له: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [سورة الزخرف:٥٤].

ونفهم من الآيات القرآنية كذلك أنّ منطق المتكبّرين في مواجهة الحقيقة: هو التهديد والوعيد، والركون إلى القوة المادية وإرهاب الناس بها، وهذا ما اتخذه فرعون مع السحرة حين آمنوا هددهم بتقطيع الأيدي والأرجل، وكذلك قال المكذبون لرسلهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [سورة إبراهيم:١٣]، فليتنبّه المؤمن في كل زمان إلى هذا المنطق، ولا يربط بين العلو المادي وبين الحق.

الرابعة: الأجساد البشرية لا يمكنها أن تحتمل عذاب تقطيع الأيدي والأرجل، يشترك في هذا كل الناس، ولكنّ الشأن ليس في الأجساد وإنما في القلوب والأرواح، فما يحمله القلب من المعاني والعقيدة والإيمان هو الذي يصبره بإذن الله تعالى، ولذلك فإن هؤلاء السحرة الشهداء حين حملت قلوبهم معاني الحق والإيمان اختاروا الصبر على عذاب الجسد لأجل الله تعالى، فصبروا، بل وهان فرعون في أعينهم وصغر، وزالت هيبته، فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [سورة طه:٧٢].

الخامسة: أن استشعار هوان الدنيا، وقصرها، وسرعة انقضائها، وقِصَر مدة مُلْكِ ملوكها، واستحضارَ بقاء الآخرة ودوامها، وتمام مُلك الحي القيوم وأنه ملك ملوك الأرض جميعاً وأنه ملك يوم

الدين؛ استحضارُ كُل ذلك من أهم أسباب الثبات أمام الفتن والأزمات والتحديات الكبرى، ولذلك قال السحرة لفرعون مستحضرين كل ذلك: ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [سورة طه:٧٢]، وقالوا: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [سورة طه:٧٣]، وبعكس ذلك فإن الانغماس في الدنيا، والاستغراق فيها، وغياب استحضار الآخرة؛ من أهم ما يُضعِف المؤمن ويُسقطه أمام الأزمات. ومن المهم في هذا السياق استحضار هذا الحديث النبوي العجيب الذي يُصوّر داء الأمة اليوم ويبين حالها، فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُّ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِّ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).



(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) بإسناد جيد.

العبر والفوائد من المراحل التالية في قصة موسى ﵇

كانت المقاطع السابقة من آيات قصة موسى ﷺ متعلقة بالمراحل الأولى من دعوته ﷺ، ابتداءً من ولادته، ثمّ بعثته، ثم حواره مع فرعون، ثم يوم الزينة وعلوّ كلمة الحق على كلمة الباطل، فإسلام السحرة، ثم انتقلت الأحداث إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة الصبر والثبات على الإيمان، والابتعاد عن أعين الظلمة والمتجبرين، مع الفأل وحسن الظن والاتباع.



المقطع التاسع
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة الأعراف

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٧-١٣٣].

الفوائد:

الأولى: هـذه الآيـات تدلّ على أن نفوس الطغـاة المتكبرين لا تخضع للحق: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [سورة غافر:٣٥]، وذلـك أنـه بعـد ظهـور الحـق، وعلـو كلمتـه، واستبانة فسـاده لـكل مريـد للحـق؛ ازداد فرعـون طغيانـاً وجبروتـاً، فتوعـد المؤمنـين بالقتل والاسـتعباد مـن جديد: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ [سـورة الأعراف:١٢٧]، والملأ مـن قومـه لم يتبعـوا السـحرة في الإيمان والإسـلام، وإنـما اتبعـوا فرعـون، وهذا يدل -كذلـك- على أن أهل الجاه والطمع -مـن حاشـية الملـوك ووزرائهـم- هم أبعد النـاس عن اتبـاع الحق بعد ظهـوره، وهـم أشـد مـن يجعـل المتجبريـن يتـمادون في طغيانهـم، فالمـلأ مـن قـوم فرعـون هـم الذيـن قالـوا لـه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [سـورة الأعـراف:١٢٧].

الثانيـة: مـن يتأمـل قصص الأنبياء يفهـم منها أن الإصـلاح إذا كان في مرحلـة علـو كلمـة المجرمـين وشـدة هيمنتهـم فـإنّ عـلى المصلحـين فعـل مـا يمكنهـم وليـس عليهـم تغيـير كل شيء، فموسـى ﷺ لم يأخـذ المؤمنـين معـه لقتـال فرعـون بعـد أن ظهـر الحـق، فهـذا ليـس بالإمـكان، وإنـما أوصاهـم بالصـبر، وفتـح لهـم بـاب الفـأل والأمـل.

وإذا تأمَّلْنـا هـدي الأنبيـاء في مثل هذه المرحلة التـي يهيمن فيها الظالمون فسنخرج بهذه المعالم:

١- تبليغ الحق وإقامة الحجة بالأسلوب اللين: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [سورة طه:٤٤].

٢- ثم مواجهة المبطلين بحجج الحق، ودحض أباطيلهم، وإعلاء كلمة الحق: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [سورة طه:٥٩]، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الحجر:٩٤]، ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٢]، به: أي بالقرآن.

٣- العناية بالمؤمنين المتبعين للحق وتربيتهم على العبادة والصبر والثبات والتوكل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [سورة الأعراف:١٢٨]، ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة يونس:٨٧]، ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ [سورة يونس:٨٤]. [دار الأرقم].

٤- تربية المؤمنين على التفاؤل والاستبشار بحسن العاقبة ومحاربة اليأس: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩]، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لخباب وقد جاء شاكياً من شدة ظلم المشركين بمكة: (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

٥- الابتعاد عن بلد الظلم وسطوة أهله بعد ظهور الحق وتمادي الباطل: كما في السيرة النبوية من [الهجرة إلى الحبشة – ثم الهجرة إلى المدينة]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [سورة يونس:٨٧]. قال السعدي رحمه الله في تفسيرها: (أي: مُروهم أن يجعلوا لهم بيوتًا، يتمكنون من الاستخفاء فيها، ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: اجعلوها محلاً، تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس، والبيع العامة).

٦- اتباع الوحي والامتثال لمقتضاه والثقة بمعية الله ووعده، والإيمان بأنه سبحانه يتولى نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ [سورة طه:٧٧]، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الشعراء:٦١ – ٦٢]. ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [سورة الحجر:٦٥]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾ [سورة إبراهيم:١٣ –١٤].

الثالثة: في قوله سبحانه: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾[سورة الأعراف:١٢٩]. دليلٌ على أن البلاء على المستضعفين قد يطول ويمتد لأزمنة طويلة، فقوم موسى عليه السلام كانوا يُؤذَون من قبل ولادته، وامتدّ بهم الابتلاء عشرات السنين إلى وقت

نبوته عليه السلام، ثم لما بعث الله موسى إلى فرعون، وأقام عليه الحجة وذكّره، ثم التقى معه يومَ الزينة الذي أعلى الله فيه كلمة الحق على كلمة الباطل، ثم بعد ذلك كله يقول فرعون -بعد ظهور الحق وإسلام السحرة-: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٧]، وهو لم يقصّر قبل ذلك في قتل الأبناء وذبحهم، وإنما جَدّد الآن هذا القرار ليعود إليه مرة أخرى بقوة، وذلك أمام شعب مستضعف مقهور قد طال عليه البلاء، ولذلك قال أصحاب موسى عليه السلام له: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [سورة الأعراف:١٢٩]، وهذا فيه عزاء لمن طال بهم البلاء، وتوالت عليهم المصائب والكربات، واستبطؤوا النصر والفرج؛ بأنهم ليسوا وحدهم، وبأن ما جرى عليهم فقد جرى على الأمم من قبلهم، وأنّ الله سبحانه قد بيّن كل ذلك، وهذا يقتضي أن يتصبر الإنسان ويرجو من الله العون والمدد، ولذلك قال لهم موسى عليه السلام: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأعراف:١٢٨]، ثم ذكّرهم بأنّ هؤلاء الأعداء الطغاة وإن طالت أيامهم واشتد ظلمهم إلا أنهم تحت سلطان الله وحكمه، وأن الله قادرٌ على إهلاكهم، فقال: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩].

الرابعة: أن لمرحلة الاستضعاف ابتلاءاتها، ولمرحلة التمكين ابتلاءاتها، فأما ابتلاء مرحلة الاستضعاف فالقتل والأسر والتعذيب والاستعباد والاستهزاء والسخرية والمنع من التعبد وإقامة الدين، وأما ابتلاء مرحلة التمكين ففتنة الدنيا والتنافس والتحاسد والتدابر والغرور، وفتنة الانصراف عن التعبد وعن الاستقامة انشغالاً بالمغريات والمكتسبات المادية، ولذلك قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩]، فالشأن ليس في مجرد الاستخلاف في الأرض، وإنما في العمل بعد الاستخلاف، وإنّ من خطأ بعض السياقات الإسلامية أنها تربي أبناءها على أن الاستخلاف والوصول إلى الحكم وتحرير الأرض هي تمام المشوار وغاية الطريق، بينما نجد في القرآن أن التمكين هو بداية مشوار آخر من الابتلاءات: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩].

الخامسة: المؤمن لا ينظر إلى القوة المادية المهيمنة باعتبارها أمراً دائماً محتوماً لا يمكن أن يزول، وإنما ينظر إليها على أنها تحت قدرة رب العالمين وإرادته، ولذلك فإنه لا ييأس ولا يقنط، وفي نفس الوقت: لا يستعجل الثمرة ولا يستبطئ النصر، فالميزان الإلهي يختلف عن الميزان البشري.

السادسة: هذه الآيات فيها شأن عجيب حول حِلْم الله سبحانه على عباده، مع أن فرعون وملأه أسرفوا وطغوا وتجاوزوا الحدّ، واستمرؤوا الظلم، وذبحوا الأطفال، وكفروا بالله وادّعوا الألوهية لفرعون، ثم بعد ذلك بُيِّنَ لهم الحق بالقول الليّن فلم يتذكروا ولم يخشوا، ثم أُقيمت عليهم الحجة أمام الناس يوم الزينة، فلم يزدادوا إلا طغياناً، وأعادوا قتل الأبناء واستضعاف المقهورين، وبعد ذلك كلّه لم يأخذهم الله بالعذاب الذي يستأصلهم مباشرة، ولم يقطع عنهم أسباب الهداية، بل قدّر عليهم بعض أحوال النقص والعذاب الأدنى لعلهم يذّكرون بالشدة بعد أن رفضوا التذكّر بالقول اللين والموعظة الحسنة، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٣٠] ومع ذلك فإنهم لم يرتدعوا، بل نسبوا سبب هذا البلاء والنقص إلى موسى عليه السلام ومن معه وتشاءموا بهم: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:١٣١] فزاد الله عليهم هذه الشدة: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٣٣]، ثم لما تكالبت عليهم هذه الأقدار المؤلمة والمصائب والآفات ذلّوا ووعدوا بالخضوع والإيمان: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة الأعراف:١٣٤].

فطلبوا من موسى ﷺ أن يدعو ربه ليكشف عنهم الرجز، فدعا، فكشف الله عنهم -إلى أجل- فلم يعودوا إلى ما وعدوا، بل نكثوا ورجعوا إلى ما كانوا عليه.

وهنا، وبعد كل هذه العقود الطويلة الأمد من الظلم والكفر والطغيان والاستعلاء والإسراف والغرور -والله يحلم عليهم ويمهلهم ثم يهيئ لهم الفرصة للرجوع والادّكار والإيمان-، وبعد كل ما رفضوه من الآيات والحجج والبينات -والله يفتح لهم أبوابا أخرى متتالية من الآيات-، وبعد رؤيتهم للعذاب الأدنى ثم استكبارهم وجحودهم، وبعد نكثهم العهد، وجحودهم ونكوصهم؛ بعد كل ذلك، انتقم منهم الجبار القهار سبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [سورة الزخرف:٥٥-٥٦]..

وفي هذا -والله- أنواع من العبرة والعظة، وفي ذلك باب من أبواب العلم بالله عظيم، وسبب من أسباب معرفة سننه كبير، فسبحان الله الحليم، وسبحان الله العلي العظيم، وسبحان الله العزيز الرحيم، وسبحان الله العزيز القهار، لا يُهزَم جُنده، ولا يُخلَف وعده، ولا إله غيره.

المقطع العاشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة يونس

قال الله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [سورة يونس:٨٣-٨٨].

الفوائد:

الأولى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ [سورة يونس:٨٣]، المراد بـ (الذرية) في الآية -عند طائفة من المفسرين-: هم الشباب، وفي هذا فائدة، وهي: أن الفتيان والشباب مِن أكثر من يُرجى صلاحهم واستجابتهم للدعوة ثم حمل أعبائها، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ سيجد أن عامّة أصحابه شباب، وأن كثيراً ممن أسلم

مبكراً هم من الشباب، وكان لهم عند النبي ﷺ شأن وكان لهم في الإسلام شأن، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [سورة الكهف:١٣]، قال: (فذكر تعالى أنهم فتية -وهم الشباب- وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابًا، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا)، فعلى المصلحين أن يُركّزوا على الشباب في البناء والتربية والتهيئة للدعوة والإصلاح وحمل رسالة الإسلام.

الثانية: في قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [سورة يونس:٨٣] دلالة على أن إيمان هؤلاء الشباب لم يكن في حال رخاء وسعة، بل كان في حال خوف واستضعاف، وكانوا بإيمانهم ذلك قد خالفوا فرعون الجبار المفسد المتكبر، وخالفوا كبار قومهم وملئهم، وهذا يدل على أنّ المؤمنين ولو كانوا شبابًا صغاراً؛ فإنه يمكنهم تحمّل أعباء الإيمان ولو كانت الظروف السياسية ملبدة بالغيوم والقيود والعذاب.

الثالثة: في قوله سبحانه ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [سورة يونس:٨٣] دلالة على أن أعظم ما خافه هؤلاء الشباب الذين آمنوا مع موسى عليه السلام إنما هو الفتنة في الدين، أكثر من خوفهم على نقص دنياهم، ومن كان هذا همه فهو على خير وسلامة إن شاء الله.

الرابعة: أن من أعظم ما ينبغي على المؤمن تذكره عند هيمنة الظالمين المفسدين: تحقيق التوكل على الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أوصى به موسى هؤلاء المؤمنين معه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [سورة يونس:٨٤]، والتوكل في مثل مقامات الاستضعاف هذه يُستحضَر فيه:

- التوكّل على الله في الثبات على الدين.
- والتوكل على الله في دفع أذى الأعداء وتسلطهم.
- والتوكل على الله في فتح أبواب الفرج والتمكين والعمل بما يمكن.

الخامسة: التزام الدعاء في أزمنة الاستضعاف من أهم ما ينبغي الحرص عليه، وخاصة الأدعية الواردة في القرآن عن الأنبياء وأتباعهم، ومما تكرر في القرآن من ذلك: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة يونس:٨٥]، حيث وردت في قصة موسى هنا، وفي قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

[سورة الممتحنة:٥]، والمقصود بهذا الدعاء كما يقول ابن سعدي في تفسير الآية: (أي: لا تسلطهم علينا، فيفتنونا، أو يغلبونا، فيفتتنون بذلك، ويقولون: لو كانوا على حق لما غُلبوا).

السادسة: في قوله سبحانه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا﴾ [سورة يونس:٨٧]، قال ابن سعدي رحمه الله: (أي: مروهم أن يجعلوا لهم بيوتًا، يتمكنون من الاستخفاء فيها)، وهذا فيه من الفائدة: حرص المؤمنين في أزمنة هيمنة الباطل وطغيانه أن يبتعدوا عن مصدر الفتنة والشر قدر المستطاع، إما بالهجرة أو الاستخفاء كما قال ابن سعدي في تفسير الآية، كحال المؤمن من آل فرعون الذي كان يستخفي بإيمانه ويكتمه، ويستفاد من الآية كذلك أهمية تقارب المؤمنين من بعضهم أوقات الفتن حسّاً ومعنى.

السابعة: في قوله سبحانه: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ [سورة يونس:٨٧]، قال الطبري: (واجعلوا بيوتكم مساجدَ تصلُّون فيها)، وقال ابن سعدي: (أي: اجعلوها محلاً، تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس، والبيع العامة)، وهذا يدلّ على مقدار الهيمنة الفرعونية بحيث عجز المؤمنون من بني إسرائيل عن إقامة الصلاة في دُور العبادة واضطروا للاستخفاء والصلاة في بيوتهم، ويدل من جهة أخرى على مركزية الصلاة في حياة

المؤمنين، وعلى توارد الأنبياء عليها، وهي مما يستعين المؤمن به في أزمنة الاستضعاف، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة النساء:٧٧]. وقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة البقرة:٤٥].

الثامنة: في قوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣]. قال ابن كثير: (أي: بالثواب والنصر القريب)، وقال ابن سعدي: (بالنصر والتأييد، وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا، وحين اشتد الكرب، وضاق الأمر، فرجه الله ووسعه)، وفي هذا من الفائدة: أهمية التبشير أوقات الاستضعاف والأزمات والفتن، وهذا من أهم أدوار المصلحين الثابتين، وفي زماننا هذا نحن أحوج ما نكون إلى التبشير والتثبيت والتفاؤل، وهذا إنما يكون للمؤمنين الصادقين المتوكلين المجانبين الفتن.



المقطع الحادي عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة الشعراء

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الشعراء:٥٢-٦٧].

الفوائد:

الأولى: المتتبع للآيات المتعلقة بفرعون يدرك أنه بلغ في التمكن في مملكته أمراً عظيما، وأنه كان يمتلك من الأدوات التنفيذية ومن الجنود الشيء الكثير، فهنا استطاع فرعون أن يحشد بسرعة جميع المقاتلين من كل المدائن في مملكته، حتى أدرك موسى عليه السلام في زمن يسير، ومن الواضح كذلك أن الآلة الإعلامية للحكومة

الفرعونية تعمل بنشاط وفي جميع الحالات، فالسعي الدائم لتشويه موسى عليه السلام ومن معه واضح في القصة، كما في تكرار فرعون اتهام موسى بأنه يريد إخراجهم من الأرض، وكذلك سعيه في استنفار قومه وجنوده، وذلك بوصف موسى عليه السلام ومن معه بأنهم شرذمة قليلون، وكذلك ببيان أن خطرهم ينال الجميع وليس خاصًّا بالحكومة، فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [سورة الشعراء:٥٦] كما قال ابن سعدي: (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ أي: الحذر على الجميع منهم، وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة)، وهذه سنة مستمرة في الظالمين والمجرمين، يستعملون نفس الأسلوب، وما أشبه الليلة بالبارحة.

الثانية: إهلاك الظالمين أمر عظيم، يُحِبّ الله تعالى منا أن نتفكر فيه، ونقف عنده، ونتأمله، ونعتبر به، ولذلك كرر علينا ذكر مصارع الكافرين والظالمين في كتابه العزيز، وخاصة ما ورد في فرعون، فهو أكثر طاغية جرى ذكره في القرآن العزيز، وإذا كان هذا في التاريخ فإن سنة الله لا تزال جارية، فليعتبر المؤمن بمصارع الظالمين وما يجريه الله من تقليب أحوالهم، نسأله سبحانه أن يسلط عليهم جنده، وأن يلحقهم بأسلافهم وأشكالهم، إنه عزيز رحيم.

الثالثة: من أعظم ما يحتاجه قادة المصلحين المتبعين للأنبياء: الثقة بالله والتوكل عليه والإيمان بمعيته، كما قال موسى عليه السلام في هذه الآيات: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الشعراء:٦٢]، وكما قال محمد ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة:٤٠].

فإن قيل ولكن الأنبياء عندهم وعد معيّن من الله تعالى، وأما المصلحون بعدهم فليس عندهم هذا الوعد، فالجواب من وجهين:

١) أنه وإن انقطع الوحي إلا أن سنن الله ماضية لا تتبدل ولا تتغير، وجميل أفعاله وعوائد إحسانه بالصالحين من عباده مستمرة لا تنقطع، ومنها: نصر المؤمنين الصابرين المتقين المتوكلين عليه سبحانه، فعلى المصلحين الممتثلين لهذه الصفات أن يثقوا بالله ويحسنوا الظن به سبحانه.

٢) أن معية الله تعالى ليست خاصة بالأنبياء، فقد ذكر الله في كتابه معيته للصابرين، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩]، وللمتقين فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٤].

فالمعية لا تخص الأنبياء وحدهم.

الرابعة: المصلح ليس مطالباً بأن يعرف كل الخطوات والمراحل الإصلاحية التي سيسلكها، وإنما عليه أن يبذل ما عليه، ويفعل ما يمكن، فإذا أُغلقت الأبواب في وجهه كما أَغلَق البحرُ الطريق على موسى عليه السلام؛ فإنه مطالب بالاستهداء والتوكل، إذ إن موسى عليه السلام لم يكن يعلم المخرج من هذا الإغلاق حتى أوحى الله إليه بأن يضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.



المقطع الثاني عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة الأعراف (٢)

قال الله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٣٦-١٣٧].

الفوائد:

الأولى: أنّ مما يحبه الله ويقدره سبحانه: وراثة المؤمنين أرض الكفار، ووراثة المستضعفين أرض الظالمين، كما قال سبحانه للأنبياء: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ [سورة إبراهيم:١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٥]، وقال عن بني إسرائيل: ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [سورة القصص:٥]، وها قد تحقق وعد الله لهم، وظهرت آياته، ومضت سنته، فأهلك آل فرعون، وأورث المستضعفين الأرض.

وموضوع وراثة الأرض مهم جداً في فهم سنن الله تعالى، وقد

ذكره الله في كتابه كثيراً، فليتأمله المصلحون، وليتفكروا في مواضعه من الكتاب العزيز، وكذلك في سنة أخرى مقاربة لوراثة الأرض، وهي سنة الاستبدال.

الثانية: إذا علم المؤمنون سنة الله في توريث الأرض عباده الصالحين؛ فإن عليهم أن يتحلوا بالصفات التي يذكرها الله عن الوارثين وعمن يأتي بهم خلفًا عن المستَبدلين كي تجري عليهم هذه السنة، ومن أهمها: (التوكل على الله، الصبر، التقوى، العلم، الاستمساك بالوحي، محبة الله تعالى، الذلة للمؤمنين، العزة على الكافرين، الجهاد في سبيل الله، عدم الخوف من الخلق في ذات الله، الصلاح)، وكذلك عليهم أن يجتنبوا الصفات التي ذكرها الله في المستبدلين، ومن أهمها: (ترك نصرة الإسلام والقعود عن الجهاد في سبيل الله حال وجوبه، البخل وترك الإنفاق في سبيل الله، موالاة الكفار والمسارعة فيهم)، ومن ثمرات الإيمان بهذه السنن أن يعلم المصلحون الثابتون أن معهم من الله سلطاناً نصيراً، فليبذلوا الأسباب، وليصدقوا مع الله تعالى، فإن الشأن كل الشأن في القدَر والسُّنن، وتأمل معي ما ذكره ابن عاشور في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور:٥٥]، قال رحمه الله: (ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمناً: إيماءٌ إلى التهيؤ

لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول ﷺ)، وهذا كلام شريف لمن يتأمله.

الثالثة: أنّ الصفة المركزية التي جعلها الله سبباً لتوريث بني إسرائيل الأرض هي (الصبر)، فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ۖ﴾ [سورة الأعراف:١٣٧].



المقطع الثالث عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة المائدة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٠-٢٦].

الفوائد:

الأولى: تكرر في قصة موسى عليه السلام تذكيره قومه بنعمة الله عليهم، وخاصة نعمة النجاة من فرعون، وقال الله له: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم:٥]، وهذا المعنى مهم للمصلح في مسيرته؛ لأنها

تجعله دائم الشكر، ودائم التواضع، وذلك أن النصر والفتح والغنيمة قد تؤدي إلى البطر والغرور، فإذا تذكر المؤمن أيام الفقر والذل والقلة، وأن الله سبحانه إنما هو الذي كثّرهم وقواهم، عاد إليه رشده، وخضع وتواضع.

ومما ورد في ذلك في غير قصة موسى ﷺ ما جاء في سورة الأنفال إذْ ذكّر الله المؤمنين بعد أن انتصروا في بدر حالهم السابق؛ فقال لهم سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٦].

الثانية: أنّ من صور شكر الله على نعمه: العمل لدينه والجهاد في سبيله، وذلك أن الأمر بدخول الأرض المقدسة إنما جاء بعد التذكير بالنعمة، كما قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير الآية: (قدّم موسى ﷺ أمره لبني إسرائيل بحرب الكنعانيين بتذكيرهم بنعمة الله عليهم، ليهيئ نفوسهم إلى قبول هذا الأمر العظيم عليهم، وليوثقهم بالنصر إن قاتلوا أعداءهم).

الثالثة: أنّ الله سبحانه وإن كان قد كتب النصر للمسلمين في معركة أو مرحلة؛ فإن سنته تقتضي أن يبذل المؤمنون الأسباب في تحقيق هذا النصر، ولا ينتظروا الوعد الإلهي دون عمل، فهنا قال موسى ﷺ لقومه: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ

ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٢١]، فأخبرهم أنها مكتوبة لهم، ولكن لا بد أن يبذلوا السبب ليتحقق الوعد، ولكنهم لفسادهم، ولجبنهم وخورهم أرادوا أن يتحقق الوعد دون بذل وعمل، فقالوا: ﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [سورة المائدة:٢٢]. وسنة الله تقتضي أنهم لن يخرجوا منها هكذا دون سبب وبذل، والله المستعان.

الرابعة: في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [سورة المائدة:٢٣] فائدة، وهي أن الخوف من الله تعالى من أعظم أسباب الثبات وقت الشدائد والأزمات، فمن أراد تربية الشباب على الثبات عند الأزمات فليغرس فيهم مخافة الله تعالى؛ فالخائف من الله يصغر عنده معنى الخوف من غيره، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، وبعكس ذلك، كلما قل في القلب الخوف من الله زاد الخوف من غيره.

الخامسة: أهمية تحمّل مسؤولية النصيحة وتحريض المؤمنين، فهذان الرجلان الداعيان قومَهما، قاما بذلك مع وجود نبيّ الله موسى ﷺ، وهذا كفعل بعض الصحابة في زمن النبي ﷺ مثل مبادرة أبي بكر بدعوة عثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما إلى الإسلام في بداية النبوة، فاستجابوا له.

السادسة: في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٣] فائدة، وهي أن التوكل على الله من أعظم الأعمال التي ينبغي استحضارها عند مواجهة الأعداء، فإن التوكل عليه سبحانه مقامات متنوعة، من أعظمها: التوكل عليه في جهاد أعدائه ورفع كلمته.

السابعة: في قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ [سورة المائدة:٢٦] فائدة، وهي أنه حين يكون النصر على الأعداء ممكناً، وسببُ تحقيقه سهلاً، وحين يكون طريقه واضحاً، ثم يحصل التهاون والتأخر من المؤمنين في السعي إليه، فقد تكون عقوبتهم تأخير النصر أزمنة مديدة؛ فيبعد ما كان قريباً، ويؤجل ما كان حاضراً، ولذلك فليتنبه العاملون في مختلف الميادين الإصلاحية ممن يلهيهم الشقاق والنزاع والخصومات مع كون طريق الإصلاح واضحاً، والحاجة إلى التركيز عليه ملحّة، ولكنهم ينشغلون ببعضهم لا بالأعداء، فليتنبهوا وليخشوا أن يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل حين منعهم الله من الوصول إلى الثمرة وقد كانت في متناول أيديهم فصارت أعسر شيء عليهم وأبعده، وصاروا يتيهون في الأرض على غير هدى بعد أن كانوا على وشك دخول الباب، والله المستعان.

ومما يتعلق بذلك من **الفوائد**: أن النصر قد يتأخر ولو وُجد الصادقون والناصحون، إذا كانت هناك حالة عامة من الانحراف

والفساد بين العاملين؛ إذْ إن وجود الناصِحَين ووجود موسى ﷺ معهم لم يتمّ به النصر، بل عاقب الله قومهم لتأخرهم وتراجعهم وفسقهم[١].



(١) هذه الفائدة الأخيرة أشار إليها أحد الطلاب حين كنت أذاكرهم بفوائد أنوار الأنبياء، فوفقه الله وسدده وجزاه خيراً.

المقطع الرابع عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة الأعراف (٣)

قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [سورة الأعراف:١٤٢-١٤٤]

الفوائد:

الأولى: الموعد العظيم بين الله تعالى وبين موسى عليه السلام كان لا بد له من مقدّمات وتهيئة، فواعده الله تبارك وتعالى أربعين ليلة، كان يتهيأ فيها بالتعبّد والصيام، استعداداً لمناجاة الله تعالى، وقيل إن المناجاة كانت في العشر الزائدة على الثلاثين، وقيل بل بعد الأربعين، وقيل غير ذلك.

قال الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية: (فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها).

الثانية: المصلح يحتاج إلى فترات انقطاع للتعبد يتزود فيها، ويتفكر ويتأمّل، وهذه من الأمور المهمة جداً، ولذلك كان النبي ﷺ يعتزل كل عام في العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف وحده لينقطع للعبادة.

الثالثة: لا ينبغي للمصلح إذا أراد أن يتفرّغ لبعض الأعمال التعبدية أو العلمية أن يضيّع مَن وراءه من الطلاب والمدعوين، وإنما يولي عليهم من يقوم بشأنهم، فهذا موسى يستخلف هارون ويوصيه على قومه أن يستمر في طريق الإصلاح ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [سورة الأعراف:١٤٢]، صلى الله عليهما وسلم، وهذا يدل في الوقت ذاته على حرص موسى الشديد على قومه، وهكذا ينبغي أن يكون المصلح.

الرابعة: أن المصلح وإن بلغ من العلم ما بلغ فإنه يحتاج إلى الاستفادة ممن هو أعلم منه، وهذا من موقف هارون عليه السلام مع أخيه موسى عليه السلام.

الخامسة: أهمية الازدياد من التعرف على الله والعلم به، وأهمية ذلك للمؤمن وإن كان قد بلغ ما بلغ من العلم والمعرفة والدعوة والإصلاح، فهذا الموضوع هو المبتدأ والمنتهى، وقد سلكه قبل ذلك إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٦٠]، وكذلك في هذه الآيات مع موسى عليه السلام حين رأى ما رأى ازداد إيماناً وقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣].

السادسة: في قوله سبحانه: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [سورة الأعراف:١٤٤].

بيانٌ بأنّ من أعظم ما ينبغي أن يُفاضل به الخلق هو مدى امتلاكهم لمصدر الإرشاد الإلهي ومدى العلم به، فالله فضّل موسى عليه السلام واصطفاه بكونه كلّمه وعلّمه وأرسله، ومن هنا ينبغي أن يكون الشرف لأتباع الأنبياء بقدر اتباعهم للأنبياء في العبادة: (إن أحدكم إذا صلّى يناجي ربه)[1]، والرسالة (العلماء ورثة الأنبياء).

السابعة: في قوله سبحانه: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٤] بيانٌ بأن النعم لا تنحصر في الأشياء المادية، بل إنّ من أعظم النعم التي تستوجب الشكر نعمة الهداية ونعمة العلم بالله وبشريعته.

(١) صحيح البخاري (٥٣١).

المقطع الخامس عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة الكهف

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف:٦٠-٧٠].

الفوائد:

الأولى: مهما بلغ الإنسان من العلم فهو يحتاج إلى الازدياد، ويجب أن يظل متطلباً للازدياد، وذلك أن موسى عليه السلام قد رحل -وهو كليم الله- إلى مجمع البحرين لا لغاية إلا ليتعلم من الخضر، وقال له

﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

الثانية: أهمية محافظة المصلح على خُلُق التواضع، وذلك أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر؛ فهو من أولي العزم من الرسل وكلمه الله تكليما، ولديه من العلم بالتوراة وما أنزل الله فيها ما ليس عند الخضر، ومع ذلك فإنه تواضع كل هذا التواضع، ورحل وتعب ونصب ليلقى الخضر على سبيل التعلم منه، وقبل بشرطه عليه السلام واتبعه، وهذا في غاية العجب وغاية الكمال، وهذا ما ينبغي أن يتذكره المصلح كلما عظمت نفسه ولاحت بوادر العُجب لديه.

الثالثة: الشيطان له عمل خاص في إفشال خطوات المصلحين، وأحيانًا يكون ذلك بالعمل على الدوائر القريبة منهم، وذلك أنه أنسى فتى موسى أن ينبهه على فقدان الحوت، مع أن ذلك الحدث لا يُتصور نسيانه في العادة، فإنه هو العلامة المؤقتة لهما أنه إذا فقد الحوت فإن مطلوبهما ثمة، خاصة وأن كيفية فقدان الحوت كانت عجيبة جدًّا -كما في القصة الواردة في الصحيحين-، ومع كل ذلك فقد نسي الفتى أن ينبه موسى عليه السلام، وما ذاك إلا من الشيطان ليُعطّل مطلب موسى عليه السلام ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ [سورة الكهف:٦٣]، وهذا يذكرنا بما فعله الشيطان مع الفتى الذي نجا من السجن، والذي أوصاه يوسف عليه السلام بأن يذكره عند الملك، فأنساه

الشيطان ذكر ربه، وذلك من كيد الشيطان ليبقى يوسف في السجن.

الرابعة: أن طالب الغايات العظيمة لا ينبغي أن يلتفت إلى المشتتات والعوائق الجزئية، فموسى ﷺ لم يقف عند نسيان فتاه ولا على ما تسبب به من فوات ما فات من الوقت ولا على الجهد الزائد، بل التفت مباشرة إلى الغاية، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ [سورة الكهف:٦٤].

الخامسة: شرف العلم، وفضل الرحلة فيه، فإن ما فعله موسى ﷺ يمكن أن يوصف بأنه رحلة في طلب العلم، ولذلك فقد أخرج الإمام البخاري قصة موسى والخضر في كتاب العلم في ثلاثة مواضع منه، وبوّب على إحداها بقوله: (باب الخروج في طلب العلم).

السادسة: أهمية محافظة المصلح على روح العزيمة وأن تبقى همته عالية، وألا تثقله الأحداث والسنون فتهدّ عزيمته وهمته، وهذا مستفاد من همة موسى ﷺ في قوله: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [سورة الكهف:٦٠]، قال ابن سعدي رحمه الله: (أي: لا أزال مسافرًا وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أُوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك، ﴿أَوۡ

﴿أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [سورة الكهف:٦٠]. أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه).



المقطع السادس عشر
من أنوار قصة موسى عليه السلام
آيات من سورة القصص (٣)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [سورة القصص:٧٦-٨٠]

الفوائد:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ دلالة على ظهور آثار دعوة موسى عليه السلام في أناس من أتباعه، وصفهم الله تعالى بأنهم أهل علم وإصلاح يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا لا

يكون إلا بطريق من التعلم والتربية على الإيمان، وهذا من وظائف الأنبياء الأساسية: تربية المؤمنين الذين استجابوا لهم وتعليمهم.

الثانية: من أهم وظائف أهل العلم: إصلاح الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخاصة إذا كان المنكر من الرموز البارزة في المجتمع والتي من شأنها أن تؤثّر على الناس.

كما أن من أهم وظائفهم: تصحيح المعايير وتثبيت المؤمنين في الفتن، وذلك في قولهم: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سورة القصص:٨٠].

الثالثة: أن العلم وحده لا يكفي ليكون صاحبه ثابتًا أمام الفتن الدنيوية وبريقها، بل لا بد أن يكون صاحب العلم متصفًا بالصبر حتى يقاوم هذه الفتن: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [سورة القصص:٨٠]، أي لا يُلقّى هذه الكلمة: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سورة القصص:٨٠] إلا أهل الصبر.



الخاتمة

الحمد لله على تمام هذا الجزء من أنوار الأنبياء، والفضل فيه لله سبحانه الذي فتح وبارك، والذي هدى إلى الاهتمام بموضوع الأنبياء في القرآن، والذي وجدتُ فيه البركة والعلم والنور والخير والهدى، فالحمدُ لله أولاً وآخراً، وسلامٌ على المرسلين، وصلاةُ الله على خاتمهم محمد ﷺ.

٢ شوال ١٤٤٤ هـ إسطنبول



المفكرة